الآفاق
السنة الرابعة
الـ ١٥١
الإثنين ٢٢ ذي‌الحجه ١٤٤٧ هـ‌ق
٤ صفحات
Ofogh-e Hawzah Weekly
مركز إدارة الحوزات العلمية
المشرف: رضا رستمي
رئيس التحرير: علي‌رضا مكتب‌دار بمساعدة الهيئة التحريرية
هاتف: ٣٢٩٠٠٥٣٨ ٢٥ ٩٨+ • فاكس: ٣٢٩٠١٥٢٣ ٢٥ ٩٨+
ص. ب: ٣٧١٨٥/٤٣٨١
العنوان: قم، شارع جمهوري إسلامي، زقاق ٢، رقم ١٥
الموقع: www.ofoghhawzah.ir
البريد الالكتروني: info@ofoghhawzah.ir
تصميم: مرتضى حيدري آهنگري
مسئول الطبع: مصطفى اويسى • طباعة: صميم ٤٤٥٣٣٧٢٥ ٢١ ٩٨ +

# يومُ المباهلةِ: مكانةُ أهلِ البيتِ عليهم السلام وأهميّةُ الحوارِ

■ العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله رحمه الله

في اليوم الرّابع والعشرين من شهر ذي الحجّة الحرام كان يوم المباهلة. والمباهلة هي طريقة إسلاميَّة تكون في نهاية الحوار بين الآراء المختلفة، عندما يستنفد الجميع الحوار فيما بينهم حول قضايا العقيدة، ويأبى أحد الطّرفين أن يقرَّ بالحقيقة من وجهة نظر الطّرف الآخر، فيدعو الطَّرف الّذي يعتبر نفسه أنّه يملك الحقيقة، الجانب المنكر إلى المباهلة، بأن يلتقي مع أحبِّ النّاسِ إليه مع الطّرفِ الآخر فيمن يختاره، ويقفا أمام الله ليدعواه ويبتهلا إليه أن يجعل لعنته على الكاذبين. ومن المعروف في تجربة المباهلة، أنّ الله تعالى يُنـزل العذاب على الكاذب منهما، [وذلك قوله تعالى: {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ}[آل عمران: ٦١]].

[فقد جاء في] رواية المحدّث الجليل عليّ بن إبراهيم القمّي الّتي رواها في تفسيره عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، قال: "إنَّ نصارى نجران لما وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله ـ وكان سيِّدهم الأهتم والعاقب والسيِّد ـ وحضرت صلواتهم، فأقبلوا يضربون النّاقوس وصلّوا، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله، هذا في مسجدك؟ فقال صلى الله عليه وآله: دعوهم. فلمّا فرغوا، دنوا من رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالوا: إلامَ تدعو؟ فقال: إلى شهادة أن لا إله إلّا الله، وأنّي رسول الله، وأنَّ عيسى عليه السلام عبدٌ مخلوق يأكل ويشرب ويُحدث. قالوا: فمن أبوه؟ فنـزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: قل لهم: ما تقولون في آدم؛ أكان عبداً مخلوقاً يأكل ويشرب ويُحدث وينكح؟ فسألهم النبيّ صلى الله عليه وآله، فقالوا: نعم. قال: فمن أبوه؟ فبهتوا، فأنزل الله: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ}[آل عمران: ٥٩]، وقوله: {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ} إلى قوله: {فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ}[آل عمران: ٦١]".

ويبدو أنّ نصارى نجران قد دخلوا في الحجاج حول هذا الموضوع وفي غيره، ويبدو من خلال جوّ الآية، أنّ الحجاج وصل إلى طريقٍ مسدود، بحيث أغلقوا عقولهم عن التّفكير فيما قاله لهم النبيّ صلى الله عليه وآله عن الله تعالى.

"فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فباهلوني، فإن كنت صادقاً أنزلت اللّعنة عليكم، وإن كنت كاذباً أُنزلت عليّ. فقالوا: أنصفت. فتواعدوا للمباهلة، فلمّا رجعوا إلى منازلهم، قال رؤساؤهم السيِّد والعاقب والأهتم: إن باهلنا بقومه باهلناه، فإنَّه ليس نبيّاً، وإن باهلنا بأهل بيته خاصّة لم نباهله، فإنَّه لا يقدِّم أهل بيته إلّا وهو صادق. فلمّا أصبحوا، جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقال النّصارى: من هؤلاء؟ فقيل لهم: هذا ابن عمّه ووصيّه وختنه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهذه ابنته فاطمة عليها السلام، وهذان ابناه الحسن والحسين عليهما السلام، ففرقوا، فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: نعطيك الرّضى فاعفنا من المباهلة، فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وآله على الجزية وانصرفوا".

والمباهلة ثابتة بالنصّ القرآنيّ، وهي تدلّ على المنـزلة الكبرى لأهل البيت عليهم السلام، حيث قدَّمهم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المباهلة بأمرٍ من الله سبحانه، باعتبار أنهم أقرب النّاس إليه، ونحن نعلم أنّ القرب من النبيّ ليس ملاكه النّسب وحده، ولكن بالفضائل التي يتميّزون بها عند الله.

ونستوحي [من قصّة المباهلة]، أن لا مانع من أن يدخل غير المسلمين في المسجد، حتى إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله ومن بعده، كانوا يستقبلون الوفود في المسجد حتّى من المشركين...

وأنّ ابن البنت يطلق عليه ابن، فلمّا نزل قوله تعالى: {فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ}، ما كان من النبيّ صلى الله عليه وآله، إلّا أن أخرج معه الحسنين، وهما ابنا ابنته...

ثمّ التّعبير عن عليّ عليه السلام من أنّه نفسُ رسول الله، يوحي بأنَّ شخصيّة عليّ عليه السلام قد اندمجت بشخصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله علماً وروحانيّة وأخلاقاً وزهداً وشجاعةً، بحيث كان يمثّل رسول الله صلى الله عليه وآله في ذاته، كما كان رسول الله يتمثّل فيه...

[ومما نستلهمه من القصّة، أهميّة ممارسة] الحوار، ليس مع أهل الكتاب فحسب، بل مع كلّ النّاس الّذين نختلف معهم في الفكر، سواء كان دينيّاً في مجال العقيدة، أو ثقافيّاً في مضمار المفاهيم، أو في حقول السياسة والاجتماع وغيرها...

وفي درس المباهلة الكثير من الإيحاءات، وعلينا ونحن نعيش في ذكرى المباهلة، أن ندخل إلى أعماقنا لنفهمها فهماً يبتعد بها عن المناسبة المحدودة في الزّمان والمكان والأشخاص، لننطلق بها من أجل أن نتحرّك في حياتنا كلّها، وفي واقعنا كلّه، عندما نختلف مع الآخرين ونحاورهم، فالأمّة القرآنيّة هي الأمّة التي يعيش القرآن نوراً في عقولها، ويقظة في قلوبها، وطهراً في مشاعرها، وحركة في واقعها.

من خطبة الجمعة لسماحة العلّامة المرجع السيّد محمّد حسين فضل الله (رض)، بتاريخ: ٢٠٠٥/٢/٤ م.

# الغدير بين وضوح النص وانقلاب الأمة

## دراسة تحليلية في أسباب التحول بعد الخطاب النبوي

■ الشيخ حسين التميمي / العتبة العباسية المقدسة

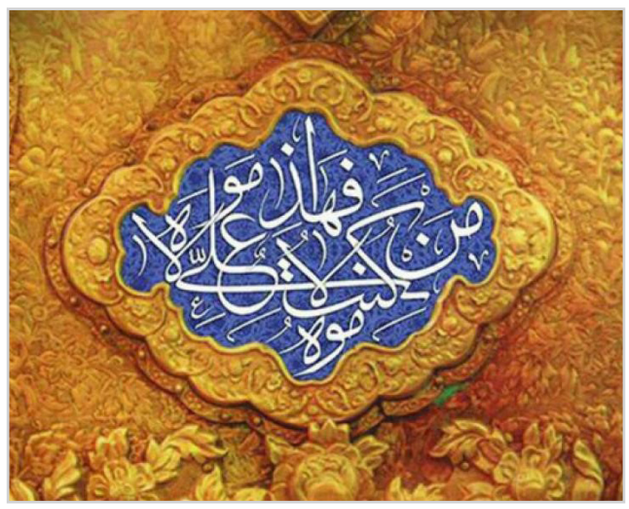


شكّل يوم الغدير منعطفاً مصيرياً في التاريخ الإسلامي، لا بوصفه حادثة عابرة أو موقفاً عاطفياً آنياً، بل باعتباره إعلاناً نبوياً رسم معالم القيادة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في مشهد احتشدت فيه عشرات الآلاف من المسلمين العائدين من حجّة الوداع، حيث أوقف النبي القوافل في حرّ الهجير، وجمع الناس في موضعٍ لا يفرض التوقّف عادة، ثم صعد المنبر المصنوع من أحداج الإبل، وخطب خطبة طويلة مفعمة بالتأكيدات والتنبيهات والاستشهادات، حتى بلغ الأمر ذروته بقوله المشهور: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه»، ثم أعقب ذلك بالدعاء: «اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه»، وهو ما كشف عن أنّ القضية لم تكن محض إعلان محبة أو فضيلة، بل تأسيساً لمرجعيةٍ دينية وسياسية وأخلاقية للأمة بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله، وقد نقل هذا الحدث جمهور كبير من الصحابة، حتى عدّه العلماء من الأحاديث المتواترة، وأفرده المحدّثون والمفسرون والمؤرخون بالتصنيف والبحث، لما يحمله من دلالات خطيرة على مستقبل الأمة.

ولقد كان الحضور الجماهيري الهائل في الغدير عاملاً كافياً ـ بحسب المعايير الطبيعية ـ لضمان رسوخ القضية في وجدان الأمة، فالمشهد لم يكن خفياً، ولا النص صدر في مجلسٍ محدود، ولا الواقعة نُقلت بخبر آحاد، بل كانت إعلاناً عاماً في أواخر حياة الرسول صلى الله عليه وآله، بعد أن نزل قوله تعالى:

{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [المائدة: ٦٧]، وهي آية تكشف بوضوح عن حساسية الموضوع وخطورته، حتى إنّ تبليغه عُدِل بتبليغ الرسالة كلّها، ممّا يدل على أنّ الأمر يتجاوز دائرة الفضائل الفردية إلى قضية الامتداد الرسالي وحفظ الدين من الانحراف. ثم أعقب ذلك نزول قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣]، وهو اقتران يكشف أنّ كمال الدين ارتبط بهذا الإعلان المصيري، لأنّ الرسالة بلا قيادة تحفظها بعد النبي تكون عرضة للتفكك والضياع.

وغير أنّ السؤال الجوهري الذي حيّر الباحثين والمتكلمين والمؤرخين هو: كيف انقلبت الأمة بعد كل هذا التأكيد؟ وكيف أمكن تجاوز النص النبوي مع ذلك الحشد العظيم؟ إنّ الإجابة عن هذا السؤال لا يمكن اختزالها بعامل واحد، بل هي نتاج تراكب معقّد بين النفس البشرية، وطبيعة المجتمع القبلي، وطموحات السلطة، وضعف الوعي الرسالي لدى شريحة واسعة من المسلمين آنذاك، فالقرآن الكريم نفسه قدّم صورة دقيقة عن قابلية المجتمعات للانقلاب حتى مع وجود الأنبياء والآيات الواضحة، إذ يقول تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ} [آل عمران: ١٤٤]، وكأنّ الآية كانت تنبئ مبكراً بأنّ حضور النبي لا يعني بالضرورة رسوخ الإيمان في أعماق الجميع، وأنّ الارتداد عن الخط الرسالي قد يحدث فور غياب القائد المعصوم.

وإنّ المجتمع الإسلامي في أواخر حياة الرسول صلى الله عليه وآله لم يكن قد تجرّد تماماً من رواسب العصبية القبلية، فقد دخلت قبائل كثيرة في الإسلام حديثاً بعد الفتوحات والانتصارات، وبعضها لم يتعمق في الفهم العقائدي للإسلام بقدر ما خضع لقوة الدولة الإسلامية وهيبة النبي. ولهذا فإنّ الولاء لم يكن دائماً قائماً على أساس العقيدة، بل كثيراً ما اختلط بالمصالح والانتماءات القبلية، وهو ما يفسّر سرعة التحول بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، فالنفوس التي لم تتربَّ على الطاعة المطلقة لله ولرسوله قد تنحرف أمام أول اختبار سياسي، خصوصاً حين تتداخل المصالح مع الطموحات الشخصية.

وكما أنّ شخصية الإمام علي عليه السلام نفسها كانت تمثّل تحدياً لكثير من الزعامات القبلية؛ فهو الرجل الذي حطّم أصنام الجاهلية، وقتل صناديد قريش في بدر وأحد والخندق وحنين، ولذلك بقيت في صدور بعضهم أحقاد دفينة عبّر عنها القرآن بقوله تعالى: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ} [محمد: ٢٩]. وقد أشار عدد من الباحثين إلى أنّ العامل النفسي والاجتماعي كان له دور كبير في رفض بعض النفوس لفكرة اجتماع النبوة والخلافة في بني هاشم، إذ كانت النزعة القبلية ترى في ذلك تكريساً لتفوّقٍ لا تقوى على احتماله.

ومن العوامل المهمة أيضاً أنّ الأمة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله واجهت صدمة عاطفية وسياسية كبرى، فاستغلّ بعض الطامحين حالة الاضطراب وسارعوا إلى فرض واقع سياسي جديد قبل أن تستعيد الأمة وعيها الكامل.

وقد أشار القرآن إلى خطورة الاستعجال والانقياد للعاطفة الجمعية دون بصيرة بقوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ} [الحج: ١١]، أي على تردد وعدم رسوخ، فإذا تبدلت الظروف تبدلت المواقف. ومن هنا فإنّ الانقلاب لم يكن رفضاً صريحاً للنبي بقدر ما كان التفافاً سياسياً على مضمون النص وتأويلاً له بما يخدم الواقع الجديد.

وإنّ المتأمل في التاريخ القرآني يجد أنّ الانقلاب على أوامر الأنبياء ظاهرة متكررة، فقد شاهد بنو إسرائيل معجزات موسى عليه السلام بأعينهم، ثم عبدوا العجل بعد أيام من غيابه، كما قال تعالى: {وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ} [الأعراف: ١٤٨]. وهذا يكشف أنّ كثرة العدد لا تعني عمق الإيمان، وأنّ الجماهير قد تنخدع بالعاطفة أو الدعاية أو المصالح الآنية. ولذلك فإنّ حضور مئة ألف في الغدير لا يضمن ثبات الجميع على مقتضى البيعة، ما دام الإيمان الحقيقي لم يترسخ في القلوب بصورة كاملة.

وقد واجه الإمام علي عليه السلام هذا الواقع بصبرٍ استثنائي، حفاظاً على أصل الإسلام ووحدة الأمة الفتية، رغم يقينه بحقه الذي نصّ عليه الرسول صلى الله عليه وآله. ولهذا نجده يشير في خطبه إلى حجم الانحراف الذي وقع بعد النبي، ولكن من دون أن يدفع الأمة نحو انهيار شامل أو حرب داخلية مبكرة تقضي على أصل الدين. ومن هنا تتجلى عظمة موقفه، إذ قدّم مصلحة الإسلام العليا على حقه الشخصي، مع بقاء احتجاجه العلمي والشرعي قائماً على مرّ السنين.

وإنّ حادثة الغدير تكشف بوضوح أنّ الأزمة الكبرى في تاريخ الأمة لم تكن أزمة نص أو دليل، بل أزمة التزام وطاعة وتجرد عن الأهواء. فالنص كان واضحاً، والحضور كان هائلاً، والتهنئة وقعت، حتى إنّ بعض الصحابة قال للإمام علي عليه السلام: «بخٍ بخٍ لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة»، لكنّ التحولات السياسية والاجتماعية بعد رحيل النبي أظهرت أنّ الإنسان قد يعرف الحق ثم يتركه تحت تأثير المصالح أو العصبيات أو الحسابات الآنية. ولذلك أكّد القرآن مراراً أنّ الهداية ليست مرتبطة بمجرد رؤية المعجزة، بل باستعداد النفس لقبول الحق، قال تعالى: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} [النمل: ١٤].

ومن هنا فإنّ دراسة الانقلاب على الغدير ليست مجرد قراءة تاريخية لماضٍ مضى، بل هي درس حضاري متجدد يكشف طبيعة المجتمعات حين تبتعد عن القيادة الإلهية، ويؤكد أنّ أخطر ما يهدد الرسالات ليس غياب الدليل، بل ضعف الوعي، وهيمنة المصالح، وقابلية الجماهير للانجراف خلف الواقع السياسي مهما خالف النصوص الواضحة، ولذلك بقي الغدير رمزاً للحق الذي أُعلن على الملأ، وبقيت مأساة الانقلاب عليه شاهداً على الصراع الدائم بين النص الإلهي وحسابات البشر.

## شعر وقصيدة

■ مرتضى الشراري العاملي

### بمناسبة يوم المباهلة

ياغاديًا صوبَ المدينةِ، جُلْ بها
قبْلَ ثراها، جدِّدِ التذكارا
سلها تُجبكَ عن المباهلةِ التي
قامتْ دليلًا لم يكن ليمارى
نطقتْ بفضلِ الآلِ، إذْ بين الورى
هم وحدهم قد رافقوا المختارا
فاختارهم بالوحيِ لا لقرابةٍ
لو لم يكونوا أهلها ما اختارا
كم طامحٍ وقد اشرأبتْ عنقُهُ
لكنَّ ربَّكَ يعلمُ الأسرارا
أعطاهمُ فرصَ الرقيِّ وإنهم
ظلوا حضيضًا فاسقًا مكّارا
الهاربونَ من المعاركِ حينما
صمدتْ نساءٌ قد لبسنَ سوارا
ينزونَ كالأروى فلم يروِ الهدى
أضلاعَهم لمّا جرى أنهارا
في خيبرٍ جبنوا فأُرسلَ حيدرٌ
فعلَ العجائبَ حيّرَ الأفكارا
اللهُ يعلمُ حيثُ يجعلُ فضلَه
والناسُ تتبعُ ناعقًا مهذارا

## نصيحة نفسية

■ النزيف الصامت..

العلاقات لا تنهار بضربةٍ واحدة، بل هو تراكمٌ لخيباتٍ صغيرة لم نلقِ لها بالاً. كل جرحٍ وتجاهل هو سحبٌ خفيّ من رصيد الأمان، حتى تصل العلاقة إلى الإفلاس العاطفي. من يغادروننا فجأة، كانوا يرحلون كل يوم.. ونحن لا نشعر.

نرحب بآراء القراء الأعزاء
عبر البريد الالكتروني التالي
Alafaq1446
@gmail.com